– « مرة أخرى استفاق أبو جابر لنفسه ، وراح يعنفها على افكارها وهواجسها ، اذ ما كاد يحولها عن الدعارة والفسق حتى أدخلته هذه المرة في السياسة » ص ٦٥ ٠

أنتج الشرط المتناقض وعيا متناقضا ٠ ولما كان التناقض يعني الحركة ، فان وعي ابي جابر أخذ ينمو ويتحرك مشروطا بممارسة حياته اليومية ٠ فللرغيف ثمن وللخلاص الفردي المنشود ثمن ، لذلك كان على أبي جابر ان يدفع الثمن اما سلبا او ايجابا ، القبول بالامتثال لقواعد العدو ، أو وداع حقل التوازن وولوج حقل « المغامرة » ٠ لم يكن الخيار ارادیا بل محصلة لشرط يرفض المصالحة ٠

الوعي سيرورة ، والمسار اليومي سيرورة أخرى تحدد الاولى ، ومع التراكم الكمي لشكل الممارسة في عالم الاحتلال والحصار ، اصبح الكم كيفا ، وغادر ابو جابر عالمه « القديم » : « لم يصح – ابو جابر – على نفسه الا وهو يركض في اتجاه باب العامود ، والدم لا يزال يقطر من نصل موس الكباس في يده » ص ٩٠ ٠

وهكذا عبر أبو جابر مسار شرطه التاريخي ، اكتشف ذاته كانسان ، واكتشف ذاته كجزء من شعب ودفع الثمن ٠ ضمن هذا المنطق المتسق الذي يرسم سيرورة الوعي رسم توفيق فياض صورة بطله « الخليلي » وأجاد ، ولكن !!

في « ابي جابر الخليلي » عاد توفيق فوقع في عثرة الايديولوجيا المباشرة ولكن بشكل آخر ٠ في « الشيخ لا في » كسر النص عندما نقل البطل من مستوى الى آخر لا يتوافق معه ٠ أما هنا فقد أدخل في جسم « الحكاية » جسما غريبا يشوه النص وينقله من مستوى الى مستوى آخر ٠ أما هذا « الجسم الهجين » عن النص فهو لقاء أبي جابر مع « الشبان الثلاثة » ٠ ان هذا اللقاء يشكل اغتصابا للنص وتشويها لدلالته ، لو كانت هذه الاضافة مجرد زوائد لهان الامر ، لكنها « زيادة » تحرف النص عن دلالته الاصلية وتجره من مستوى دلالي الى آخر ٠

ربما اراد توفيق ان يصور صراع الخير والشر او ان ينقل الحدث الى مستوى الامثولة ٠

لكن هذه « الارادة » لم تخدم صاحبها لانها ارادية او ارادوية تهدف الى الاقناع او الى البرهان ، حتى يخيل الينا ان « الكاتب » يريد أ نيبرهن على صحة ممارسة بطله او يبررها ٠ اي ان لقاء ابي جابر مع « الثلاثة » يشكل نصا جانبيا وهامشيا يهدف الى تبرير النص الاصلي واعطائه مصداقيته ٠ لكن منطق النص الاول يعارض منطق الثاني لنر كيف ٠ ؟

يشير النص « الاصلي » الى مسار انسان ينتقل من حقل الفردية الى حقل اللافردية : يصبح علاقة في نضال شعبه ٠ ينتقل من الايديولوجيا الاخلاقية « الفردية » الى الوعي السياسي ، وهذا الانتقال لا يتم عبر « صراع الاخلاق » فحسب بل عبر المجابهة اليومية مع العدو المباشر ٠ ان طبيعة الانتقال تناقضية لذلك تحمل في **مسارها المتعرج** انتقالا من شكل معين للوعي الى شكل آخر أكثر تقدما وشمولية : اكتشاف الذات والعدو واكتشاف ضرورة المواجهة ٠ وباختصار يمكن ان نقول ان « النص الاصلي » يرسم تفتح الوعي القومي لدى انسان عادي ٠

أما « النص المضاف » فيقول شيئا آخر : يرسم صورة انسان يدافع عن **فرديته واخلاقه**